بريق الطفل

شعر

عبد المنعم العقبى

2006 - 2007

دار شريف للنشر والتوزيع

بريق الصهيل

الناشر : دار شريف للنشر والتوزيع

إدكو – شارع سعد زغلول – محافظة البحيرة

تليفون : ٠٤٥٢٩٠٠٠٩١ – ف ٠٤٥٢٩١٢٢٩٦

موبايل : ٠١٢٧٧٢٣٩٣٠

رقم الإيداع : ٢٢٦٧٠ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى : I.S.B.N

977- 6143-37-7

تأليف: عبد المنعم العقبى

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

تحذير : يحذر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأى شكل من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

إهـــداء

إلى . .

القابضين على الجمر

فى هزائم هذا العراء .

الشاعر

أصارح أغنيتي

(إلى إيزيس الانتظار الأبدي)

كَمْ أخافُ غموضَ الصَّبَاحِ

على وجهكِ المستحِمِّ بدهشتهِ الصَّاخبةْ .!!

كَمْ أخافُ وضوحَ المساءِ

على صدركِ المتأرِّقِ بالثورةِ الكاذبةْ .!!

كَمْ أخافُ عناقَ الزِّحامِ الضَّجيجِ المحافلَ –

لكنَّنِى..

سوف أنهضُ يا أمُّ مِنْ جُثَّتى

كلَّ يومٍ ..

وأسعى إليكِ غريباً ومحترقاً

بالمرايا التى–

تذبحُ الصَّيفَ ، قُرْبَانها للغيومِ ..

وتتركُنى فى صحارى رجائكِ

أهتفُ بالحُلْمِ تحت سَماواتكِ الهاربة .

كيف يا أمُّ

- يا قِبْلَةُ الضَّوءِ -

آتيكِ

من عَتْمةِ الدَّمعِ مُحتفِياً

باليقينِ المراوغِ

أسألُ صمتَ الحقيقة عن صمتهِ ..

كيف - يا وردةُ اللَّهِ - تَذْبلُ

كلُّ الحـكاياتِ

فوق أديمِ اغترابكِ بالشهقة المُجْدِبةْ .؟!!

.....

كيف والنِّيلُ يطوى سراديب مَوْتى

و يجرى بأشواق بَعثى -

إلى أنْ ..

تفيضَ دُهُورُ الحنينِ انتظاراً

ولا يحتفى الصَّحوُ بىَّ -

انتظرتُكِ -كيف تغيبين فىَّ ..

انتظرتُكِ -

كيف تبيعين شَدْوى صمتاً

و كيف تبيعين نجوى يقينى

لِظَنِّى ..

انتظرتك -

كيف تُزَفِّين للوقتِ بالفرحةِ النادبةْ .؟!!

.....

.....

هكذا –

لا أرى فى ضبابِ انتظاركِ

غيرَ غُبَار احتراقى الوفِىِّ بموعدهِ ..

هكذا..

سوف أقطفُ نارَ التبدُّدِ مِنْ جَمْرها ..

كى أقولَ :–

أنا الانتماءُ الغريبُ

أنا الانتماءُ البعيدُ القريبُ

أنا الانتماءُ المُشرَّدُ فى حَيْرتى الواهبةْ .

ليس للجرحِ بوحٌ سوى نبضِ أُغنِيتى –

كيف يا أمُّ يَطْرَبُ بىْ هاتفُ المستحيلِ

ويحملنى فوق صَهْوَةِ أشواقهِ .؟!!

كيف أُسْمِعُ مَنْ آمنوا بالضَّجيجِ الهباءِ ..

وصلُّوا عليكِ صلاةَ الخروجِ من الحلْمِ

فى الزَّمن المستريح بشهوتهِ الغامضةْ .؟!!

ليس للنأى وَجْهٌ سوى ظِلِّ أُمنيتى –

كيف يا أمُّ أمحو ضلالَ الرُّؤى

فى مدى خطوتى

قبل طَىِّ المداراتِ باللُّغة القابضةْ .؟!!

كيف أدنو لأقرأ فى صفحةِ الويلِ

تأويلَ أضوائك الغامضةْ .؟!!

.....

هكذا ينبغى أنْ أُصَارِحَ أغنيتِى
بالتَّوَاريخِ حين تبوحُ وتَشْرُدُ غاضبةً
بين مَجْدٍ تجعَّدَ فوق وجوهٍ
تروم ربيعَ دوائرهِ ..
وشقاءٍ رحيبٍ تشهّى خريفَ خواطرهِ ..
. .....

هكذا –
لِلتَّواريخِ مشرِقُنَا فى الحُضورِ الأفولْ .
هكذا –
لِلتَّواريخِ مغربُنَا فى اليقينِ الخجولْ .
هكذا –

لِلتَّواريخِ أصداءُ دهشتنا الفائضةْ .

كيف يا أمُّ تحملُنَا –

فوق صَهْوَةِ جرحكِ للهدأةِ الرَّاكضةْ .؟!!

كيف تُقْبلُ واعدةً فى

سكونِ الزَّمان الثَّقيل

بِنا وبها .؟!!

كيف تبكى التَّواريخُ فينا تواريخَ مُرْضِعها .؟!!

كيف تُخْفى التَّواريخُ فينا تواريخَ مصرَعِها .؟!!

.. ..

هكذا ينبغى أن نُصَارِحَ دهشتنا

بالتَّواريخِ توأمِ أسرارنا ..

حين تَشْرُدُ غاضبةً بين ظِلَّين لا يبغيان

وظِلَّين لا يشرقان ..

فنثأر من نأينا بالرَّجاءاتِ

والدَّمعة النابضةْ .

هكذا ينبغى أنْ أُصارِحَ أغنيتى

بالشَوارع إذْ تَزْدَرى خُطوتى فى

مدارات حيرَتها ،

بالميادين / زيفُ الحضور الضَنينِ ..

أُعيْدُ هتافَكِ يا أمُ مؤتنِساً

بالصُراخ الرَّعيدِ ..

أرى صفقاتِ الهباءِ تُعانقُ لهفتها –

كى تبيعَ كؤوسَ دموعِكِ بخساً ..

أرى قسمات وجوه البراءة دون غدٍ

تتوَسَّدُ ليلَ الرَّصيف إلى أنْ

يحينَ الرُّقادُ الرَّحيمُ بها .

.....

هكذا سوف يعبرُنِى كلُّ هذا الوعيدِ -

فأعبُر يُتْمَ الشَّوارع مُحتفياً

بالجُنونِ الحفىِّ

بها ..

أستعيذُ من الوقتِ بالغُربةِ القاتلةْ .

ليس - يا أمُّ - فىْ ساحةِ الوطء غيرى ..

أعانقُ ما لا يجىء

وأنشدُ ما لا يبينُ -

لِأدنو قبل انتحارِ المدارات

فى موكب الزَّلزلةْ .

.....

هكذا ينبغى أنْ أُصارِحَ أُغنيتى

بالحقول التى أَنْبتَ القهرُ فى عُرْيِها

بالسِّنينِ التى أنضجَتْ قمحها

فوق جَمْرِ الجياع ..

لِيَحْصُدَهُ سارقو الحُلْمِ

من شمسهِ المقبلَةْ .

هذه الشَّمسُ ليسَتْ رجاءَ رجائى-

ولكِنَّ هذا النَّهارَ البريءَ نهارى

ومَهْدُ ائتلاف غدِىْ .

كيف يا أمُّ صرتِ الغريبةَ

فى أغنيات دمى .؟!!

كيف صرتُ أنا خَمْرَ هذى الفُصول التى

بالرَّدى تهتدىْ .؟!!

هذه الشرُفَاتَ البعيدة ليسَتْ رحاب هوائى ــ

ولكنَّ هذا الحنينَ الحميمَ حنينى

إلى صيفها المتواترِ مِثل ارتعاش يدىْ .

.....

هكذا ينبغى أنْ أُصَارِحَ أغنيتى

باصطلاءِ الرِّهانِ الأخيرِ وأسأل ــ

أين الطريقَ إليكِ

وأين الطريق إلىَّ ــ

وأين الطريق إلى ــ

كرنفال الزَّمانِ الطَّريد بنا .؟

لَمْ نَعُدْ مُنْصِتين لِأنشودةِ الماءِ

في هَدْأةِ الظَّمأ المتَوَحِّدِ بالأسئلةْ .

كيف يا أمُّ يُنْكرُنَا صمتُكِ المتَيَبِّسُ

في موعدِ القافلةْ .؟!!

لَم نَعُدْ عاشقين لبوح الفُصول

بأوْرَاد أرواحنا .

لَمْ نَعُدْ قادرين على غَلْقِ

أو فَتْحِ أبوابِنا .

لَمْ نَعُدْ .

لَمْ نَعُدْ .

لَمْ نَعُدْ .

كُلُّ شيءٍ غريبٌ على

كلّ شيءٍ هُنَا .!!

.....

هكذا ينبغى أنْ أُصَارِحَ أغنيتى

بالظَّلامِ المُضيءِ وأرشفُ أيَّامَهُ

فى كؤوس اقترابكِ منتشياً

بالوعيد

أُطَارِحُ فوق سَرير الخديعةِ أسرارَنا .

هكذا – رُبَّما ..

يصطفى غُربتى زمنٌ وهجُ

حافلٌ بالأساطير فى مبدها .

رُبَّما ..

أوْ أُخَبِّئُ آخرة الأبجديَةِ قبل التبدُّد

فى وردها .

كيف يا أمُّ آخيتِنِى والرَّحيلَ

إلى فرحتى الخائفةْ .؟!!

لا أُرِيْدُ من الصَّحوِ غير دروبِ اقترابى

من الدَّهشةِ العاصفةْ .

لا أُرِيْدُ من الجرح غير دموع غوايتهِ ..

لا أُرِيْدُ من الصَّمتِ غير

دوىِّ حروفٍ تُصَادقُنِى-

لأُرَتِّلَ جُوعِى إلى قمحكِ المستحيل بها .

.....

هكذا ينبغى أنْ أُصارِحَ أغنيتى

بالحرير الوثير الذى أجلسوكِ

على شوكهِ ..

ومضوا ساجدين لِهذا الهباءِ المقدَّسِ

فى شَرْعِهِمْ .

كيف يا أمُّ باسمك يفتحُ فخُّ الخديعةِ

ـ للعشقِ ـ أبوابَهُ .؟!!

هكذا مصَّروا كيدهُمْ .

هكذا مصَّروا زيفَهمْ .

كلُّ عشقٍ حفِىٌّ بنا .

كلُّ بيعٍ حفِىٌّ بهمْ .

مَنْ تُرَى سوف ينجو بجَمْرةِ صدركِ يا أُمّنا .؟!!

كلُّ أيَّامنا أرقٌ طيّبٌ جائعٌ .

حالمٌ ظامىءٌ ..

واهبٌ مانعٌ ..

يستعيدُ من المستحيل اغترابَ مواكبهِ .

كلُّ أيامهمْ رغدٌ مُوْغِلٌ فى البياضِ المريضِ.

يُراقبُ دوماً فُرْصَتَهُ

ويُهيئُ دوماً خاطرَهُ للفِرار بفرحةِ أيَّامنا .

.....

هكذا ينبغى أنْ أُصَارِحَ أغنيتى

بالمساءِ الصَّبوح الذى هيَّأوهُ لِحَفل زفافِكِ -

لكِنَّهُ..

يتوجَّسُ غيبَ غيومِ مسارحِهِمْ .

تذهبين .. ولا تذهبين .. اذهبى-

واتركيْنِى وحيداً بهذا الْجنون الخصيبْ .

كيف يا أمُّ أغدو فضاءَ السُّؤال الذى

يَرْتجِى مَنْ يُجِيبْ .؟!!

تذهبين .. ولا تذهبين .. اذهبى -

واتْرُكِى لِىْ مفاتيح قلبى المسافر

فى جُرْحهِ ..

ليس حَفْلُكِ يا أمُّ هذا ولكنَّهُ هاتفُ الهاويةْ .

ليس عِطرُكِ هذا الأريجُ المرفرفُ

فى يأسهِ ..

ليس نخبُكِ ما يرشفونْ .

ليس وجهُكِ ما يرسمونْ .

ليس نبضُ رجائكِ ما يعزفونَ

وما ينشدونَ ..

ولكِنَّهُ رَجْعُ أصداءِ لحظتنا الخاويةْ .

.....

هكذا ينبغى أنْ أُصَارِحَ أُغنيتى

بالرُّؤى المستجيرةِ بالصَّحو

مِنْ غفوهِ ..

بالظِّلال التى سوف تغفِرُ للشمسِ

أسماءَ حَيْرتِها ..

بائتلاقِ الحنينِ إلى صرخات الدُّروبِ الوليدةْ .

وبالنِّيلِ حين يُعانِقُ جَدْبَ الجراح الجديدةْ .

.....

كَمْ أخافك أنتِ القريبةَ

أنتِ البعيدةْ . ! !

كَمْ أخافُ الزِّحامَ الضَجيجَ المحافلَ-

لكِنَّنى ..

سوف أنهضُ يا أمُّ من جُثَّتِى

كلَّ يومٍ..

وأسعى إليكِ غريباً ومُحْتَرقاً

بالمرايا التى تتوَعَّدنى..

ثمَّ أسألُ صمتَ الحقيقةِ عن صَمْتِهِ..

هكذا ..

هكذا ينبغى أنْ أُصَارِحَ أغنيتى-

رُبَّما أستعيدُكِ يا أمَنَـا

من دُموعِ القصيدةْ .

تفاحة آدم

(إلى صعتى الفارق بى)

بِعُرْى شَوَاطىءِ أُخْرَى-

يفيضُ البحرُ مِنْ فَوْدَىَّ

مُحتفِياً بأنوائى

وعاصفتى.

ويُوْمضُ بارتحالاتٍ مراوغةٍ

فأُغْرقهُ بأسئلتى.

وحينَ يهيجُ أتركهُ على أرجاءِ

حَيْرَتهِ ..

يُبدِّدُ موجَ ذاكِرتى.

°°°°°°

فأنْسَى أنَّ لِىْ جسداً

يُنَاوِئُنِى

بعَتْمتهِ .

وأنْسَى ظِلَّ أزمنةٍ

تُوَرِّثُنى خَطاياها .

وأنْسَى أنَّ لِىْ وطناً تأرَّق بىَّ ..

ثُمَّ هَوَى يُخايلُ مَهْدَ ثورَتهِ .

.....

أنا النِّسْيانُ- لا الإنسانُ -

يَنْأى بىْ ملاكُ البَدْءِ مُغْتَبِطاً

بفجْرِ الوَطْأةِ الأوْلَى ..

على أرضٍ تُفرِّدُ فى بِكارتِها..

.....

وحِيداً أطرقُ الآفاقَ مُؤْتنِساً بوَحْشتِها.

ورَجْعُ الصَّوتِ يَغْمُرنى بـ "كُنْ" -

فأكونُ حتَّى مَشْرِقِ الأسْرَارِ

فى النَّجْوَى .

أنا النِّسْيانُ –

و النِّسْيانُ أَسْمَائى ..

به أَنْسلُّ مِنْ ذاتِى

و أُومِئُ لِىْ

وأنْدَهُنى .

أنا النِّسْيانُ –

و النِّسْيانُ أشْكَالى ..

بهِ أنْهَدُّ مِنْ سَمْتى

وأرْجعُ لِىْ

وأَبْنِينى وأَنْحِتُنى

أنا النِّسْيانُ –

و النِّسْيانُ أَلْوانِى ..

بهِ أرتدُّ مِنْ لَقٍ إلى أَلَقِ

وأخْفُتُ فى مدى نَزقِى .

به أنْأَى وأقْتَرِبُ

وأَبْرقُ لِىْ فأغْتربُ . .

أنا تَرْنِيمةُ الأشياءِ –

والأَشْياءُ أوْطَانِى التى أرْجُو .

لهَا رُوْحى التى بالرُّوحِ

تكْتُبُنِى وتَقْرَأُنى

فأبْتَهِجُ .

بِعَدْلٍ سوفَ أَحْكُمُها –

وتَحْكُمُنى وتُخْجِلُنى براءتُها.

فَلا أسعى بغاياتٍ غواياتٍ

وأقْتَتِلُ .

ولا يَنْتَابُنى بجوارِها المَلَلُ .

هى الشَّعْبُ الذى بالشَّعْبِ يَحْتَكمُ

لِكى يَنْجُوْ .

هى الأرْحَامُ أُوْلَدُ مِنْ بَراءَتِها .

وحِيداً أطرقُ الآفاقَ مُؤْتَلِقاً

بدَهْشَتها .

تَمُرُّ على يدِى الأشياءُ

واعِدةً بما أهْوَى -

فأُطْلِقُها لِما تَهْوَى ..

أُحدِّثُها بصمتٍ كيْ تُبادِلَنى

تَوَاتُرَها

وتُصْغِى لِىْ وتَبْتَسِمُ

فأمْتَثِلُ

وتأتِيني ثِمارُ الأرضِ جائعةً

وتَأْكُلُنى -

فأُشْبِعُها بلذَّة خافِقِى الأُوْلَى

ولذَّةِ خاطَرِى الأُخْرَى .

ويأتى الماءُ بالأسْرَارِ ظَمْآنا

ويَشْرَبُنى -

فأرْوِيهِ بدَفْقَةِ نَشْوَتى السَكْرَى .

وحينَ أُغَازِلُ الشَّمسَ -

تُغَازِل فى دَمِى ضَوْءًا لِعَتْمَتِها .

وحينَ أدُورُ بالأيَّامِ -

تُوقِفُنى وتُحصِينى لِتحْسِبَ

عُمْرَ بَهْجَتِها .

.....

أنا النِّسيانُ - لا الإنسانُ ..

سوف أُحرِّرُ الأشياءَ

مِنْ صمتٍ سَدِيْمِى

يُسَخِّرُها .

ومِنْ فَوْضى انتِظاراتٍ تُوَتِّرُها .

.....

هُنَا -

سأَذُوب فى الأشياءِ كىْ

أبْقَى بها حُرًّا . .

ولا أنْدَاحُ مِنْ عَدَمٍ

ولا أفْنَى .

هى الوطنُ الذى بالرُّوحِ

يَمْتَدُّ .

ويَصْدُقَ عِنْدَها الوَعْدُ . .

هى الأبْقَى

هى الأنْقَى -

تَمُرُّ على يدِى الأشياءُ

واعدةً ..

وتهتِفُ بيْ لِأنساها -

أنا الإنسانُ – لا النِّسْيانُ ،

أسْكُنها لكي أبقى -

فهل أنسى.. وهل أبقى .؟!!

عراء الـ"ما قبل"

(إلى أبطال المقاومة الأبرار)

لَمْ يَعُدْ لِيْ -

سُوَى صَمْتِى القُنْبُلَةْ .

سوفَ ينفجرُ الآنَ

أو لاحِقاً ..

فاهْرُعُوا لِغدِ الحُزنِ أو

فامْكُثوا

فى صَدَى الأمسِ مُنْطفِئين بهِ

بَعْدَما ..

حاصَرَتْنا عُرُوْشُ الدُّمَى

بالشِّفاهِ التى -

لَمْ تزَل تَطْمئنُّ إلى لَغْوِها

فى بلاغةِ هذا العراءِ . .

فنامَ المساءُ قريرًا

على شُرْفةِ الموتِ

بالأَسْئلةْ .

°°°°°°

لَمْ يعُدْ لِغَدى

غيرُ ظُلْمةِ

خُطْوَتهِ المُثْقَلةْ .

سوفَ أَعْبُرهُ الآنَ مُنْفَردًا بالقُوَى

بَعْدَما ..

أهْمَدْتِنى عروشُ الدُّمَى

بذُنُوبِ الخُطَى –

فى البلادِ التى

لِلجراحِ التى

فى الدُّموعِ التى ..

أَلْجأتْنى إلى شَهْقَتى الآمِلةْ .

°°°°°°

لَمْ يَعُدْ لِدَمِى

غيرُ دَفْقَتِهِ الدَّاهِلة .

سوفَ أُطْلِقُهُ الآنَ مُبْتَهِجًا

مُسْتَضِيئًا بِهِ

بَعْدَما ..

أطْفَأْتِنى عُرُوْشُ الدُّمَى

بالعُيونِ التى

لَمْ تزَلْ تَطْمَئِنُّ إلى صَحْوِها

فى قَتامَةِ هذا العَراءِ..

فعادَ الصَّباحُ قَتِيلاً ..

يَبُثُّ على مُهلِ شاشاتهِ

مَأْتَمَ الضَّوءِ ..

فى خَيْبَةِ القِمَّةِ الآفِلَة .

°°°°°°

لَمْ يَعُدْ لِيَدى

غيرُ رَجْفَتِها الماثِلة .

سوف أفرضُ سطوتها

فجأةً –

فوقَ زِرِّ الحقيقةِ ، أنْشُدُها

وأبُوحُ بها

بَعْدَ مـــا ..

خلَّلَتْنى عُرُوشُ الدُّمَى

بالوجوهِ التى –

لَمْ تزَلْ تَطْمئنُّ إلى زَيْفِها

فى هَزائمِ هذا العَراءِ ..

فَظلَّ البُكَاءُ يُبَدِّلُ أَسْبابَهُ..

ويُجَدِّدُ أَسْماء حَيْرتهِ القاتِلةْ .

°°°°°°

لَمْ يَعُدْ لِىْ -

سُوَى صِمْتِى القُنْبُلةْ . !!

رَجِمٌ مِنْ دَمٍ واعِدٍ

وفضاءٌ حَبِيسٌ تَمَنَّى

مدَى الطَّلْقِ ..

واشْتَاقَ لِلنُّورِ فى شَهْقةِ القَابلةْ .

رَجِمٌ مِنْ دَمٍ واعِدٍ

لَقَّحتْهُ السِّنِينُ بوَيْلِ مَواعِظِها -

فاستراح إلى الثَّأرِ

إذ يزدهى فى قلوب الثكالى

ويغمر أرواحهم

بالشِّفاءِ ..

فعاد إلىَّ اليقينُ قديرًا ..

يرتِّل آيات صعقته النَّازلةْ .

رَحِمٌ مِنْ دَمٍ واعِدٍ

سوف يَنْفجِرُ الآنَ مُبْتهِجًا -

ثُمَّ أُوْلَدُ مِنْ حَيْرَتى ..

فيَعودُ الشُّرُوقُ إلى شَمْسِهِ

ويَعودُ النَّهارُ إلى ضَوْئِهِ

ويَعوُد النَّخيلُ إلى أُفْقِهِ

.....

.....

وتَعودُ الحقُولُ التى أَشْرَقتْ

بدِماءِ الرِّهانِ ..

وتَرْنُو إلى نَبْتَةِ الحُلْمِ

فى السُّنْبُلة .

سوفَ أُوْلَدُ مِنْ حَيْرتى هاتِفًا

فى بَراحِ الرُّؤى -

إنَّها لَحْظَتى الفاصِلةْ .

هَا أنا..

أتوضَّأُ بِالْحُلْمِ ثمَّ أُقِيمُ

صلاةَ الخُرُوْجِ

من الظُّلْمةِ القَاحِلة .

.....

هَا أنا ..

قَدْ أضَأْتُ المَدَى بدَمى

هاتِفًا -

مَنْ سَيَتْبَعُنى

فيحَرِّرَ أشْلاءَهُ

ويخلِّدَ أضْوَاءَهُ

ويبدِّدَ وطْأَةَ أيَّامهِ ..

.....

هَا أنا..

مَنْ سَيَتْبَعُنى لِيَرَى

مُرْتَقَى لَحْظَتى الفَاصِلةْ .

إنَّها جَنَّتى المُقْبِلةْ .

إنَّها شَهْقَتى الزَّلْزَلةْ .

ويبقى حلمك ساطعاً

(إلى روح الشهيد محمد الدرة)

﴿ لو كنت يا أبى تحب الله أرجوك احمنى ﴾

مَنْ يا مُحمدُ

فى قيامات العراءِ المستبدَّةِ

يَحْمِى مَنْ .؟

مَنْ يا نَدَى القُرْآنِ مِنْ

أحيائنا /الموتى

سيَبْعثهُ بِداؤكما معاً .؟

.....

هُوَ ذا أبوك -

الموتُ أربْكهُ فاخطأهُ

لِيَفْرَح بائتلاق القُدسِ فيك

وبارتقائك دونما وحىٍ

إلى قُدْسِ السَّماءِ

وسِدْرَةٍ موعودةٍ بالمُنْتَهَى .

هُوَ ذا أبوكَ -

فلا تُبَارِحْ جَنْبَهُ فوق البُرَاقِ

وعُدْ بهِ ..

هو لن يُطيقَ بُكَاءَ أُمِّكَ -

حين تسألهُ ويخذلهُ الكلامْ .

عُدْ يا محمَّدُ

دُمْيَةُ الدُّبِّ القطيفةِ لَمْ تَزَلْ

منذ الصَّباحِ على سريرِكَ

تأكلُ الوقتَ العنيدَ ..

وتَرْتَجى نَجْوَى أنَامِلِكَ الصَّغيرةِ

كَيْ تنامْ .

عُدْ يا محمَّدُ

كى تُراوغَ فى دفاترِكَ المسائلَ

بالحسابِ..

وتَنْجَلِى فى واجباتٍ لا تؤجَّل -

مثل إعلانِ البلادِ بأمْرِ غانيةِ السَّلامْ .

عُدْ كلَّ حينٍ فى مآذننا البهيَّةِ

كالصَّلاةْ .

عُدْ لِلرِّفاقِ وللحجارةِ

للصَّباحِ المدرسىِّ ..

ولا تضيِّعْ وقتنا المهدور -

كمْ ضِعْنَا بهِ ..

وكَمْ تأرَّقَ بَدْؤنا

ونأى بنا محوُ التَّفاوضِ

بالتَّفاوضِ

فوق مائدةِ اللِّئـــامْ .

عُدْ يا محمَّدُ

كى تُعَمِّدَنا بأسرار الرُّجولةِ

بعدما هانت رجولتُنَا..

فصوَّرْنَاك جنب أبيك لو تدرى –

لِنَحْمى بالبُكاءِ بقاءَنا المرهونَ

بالشَّكْوَى وبالشَّجْبِ الحُطَامْ .

﴿ وحدى أرى الأقصى أمامى يا أبى ﴾

أَسْرَتْ بكَ الصَّرَخاتُ

خلف بنادقِ الوحشِ الغبيِّ

فصبرْتَ لو تدرى -

خفيفاً مثل طيفٍ يا محمَّدُ..

صبرْتَ لو تدرى -

عيوناً لليقينِ تُسَابق الرُّؤيا

لِتَجْلِدَنَا بزيف دُرُوبنا .

كَمْ أخجل الكلماتِ صوتُكَ

يا صَغِير البوحِ

فانفجرَتْ تَقُدُّ خرائط الصَّمتِ الأثيمِ

وكَمْ فضَحْتَ الوقتَ فاحْتَدَّتْ مواكبُهُ

لكى تَسْتَصْرِخَ الأمواتَ

فى أَجْسادِنَا

يا دُرَّةَ الشهداءِ

أخجلْتَ الرَّصاصةَ فَاسْتقَرَّتْ

فى سوادِ الكونِ تَثْقُبُهُ

وتَلْعَنُ صَمْتَنَا

نَمْ يا محمَّدُ فى خلودِك هادئاً .

نَمْ عند أعتاب الصِّبَا ـ

فَالْعُمْرُ سِجْنُ الآثمينَ

وعَجْزُنَا .

نَمْ يا محمَّدُ فى خلودِك هانئاً

نَمْ واسْتَرِحْ مِنْ لَغْوِنَا

واحْلُمْ بأرضٍ

ترتوى بدموعِك الحَيْرَى

فَتُنْبتُ بالطفولاتِ البريئةِ

رغم جُدْرانِ التَّنائى

دونُهَا أحزانُ شِقْوَتِنَا

وَذُلُّ شتاتِنَا .

مَسْرَاكَ يشفى الوقتَ مِنْ أدْرَانِهِ

مَسْرَاكَ يشفى الوقتَ مِنْ أدْرانِنَا .

وَيَبُثُّ للشَّاشاتِ

طيفَ الصُّورةِ المقطوعِ دابرِها –

بأنياب الوحوشِ المُسْتَحِمَّةِ بالدِّماءْ .

قتلوك..؟!!–

بل قتلوا المسيحَ الطفّلَ فيكَ ..

وأهْدَرُوا أسفَ الكليمِ

على خُطَاكَ المُسْتريحةِ بالرَّجَاءْ .

قتلوك –

لكِنْ يا محمَّدُ لَمْ يَمسُّوا الحُلْمَ فيكَ

ويبقى حُلْمُكَ ساطعاً ..

يطوى الفضاءاتِ الكئيبةِ

والفنـــاءْ .

﴿ خذنى لأرجع يا أبى فى بيتنا ﴾

كلُّ البيوتِ الآن بَيْتُكَ يا مُحَمَّدْ .

كلُّ الصَّباحاتِ ابتساماتٌ

لِثَغْرِكَ يا مُحَمَّدْ .

كلُّ المآذن فاجأَتْ بنشيدك الرَّيَّانِ

أَشْرِعةَ الرِّياح..

لِيُدْرِكَ الأحياءُ والآتون

تأويلَ الرِّسالةِ يا مُحَمَّدْ .

فى كلِّ طفلٍ قد حَلَلْتَ –

فأقسموا بالقُدسِ

بالأرضِ الجريحةِ،

باشتعالاتِ المدى : –

ستكون فينا دائماً

وتُصَلِّى فينا دائماً

وتصُوم فينا دائماً

ليراوحَ الأسماءَ اسمُكَ يا مُحَمَّدْ .

فى كلِّ طفلٍ قد حَلَلْتَ

فأقسموا بتُرَابِ يافا والجليل

وبالنَّخيل على شواطئنا البعيدةِ

بابتهالات الخُطَى -

سيكون قَتْلُ الوَحْشِ ثأْرَكَ يا مُحَمَّدْ.

فى كلِّ طفلٍ قد حَلَلْتَ -

فأطلقوا لكتائب القَسَّامِ

أفئدةَ البراءةِ والسَّواعدَ

كَيْ يُعَانِقَهَا القَدَرْ .

مَرْحَى بموتٍ يا مُحَمَّدُ..

يُمْطر السَّجِّيلَ فوق فلول أبْرَهةَ

فتستعصى على القاضينَ فى الأحكامِ

نِيْرَانُ الحجارةِ

وانصهاراتُ الهديرِ المُسْتَعِرْ .

مَرْحَى بموتٍ يا مُحَمَّدْ

قد أضَأْتَ البوحَ فيهِ

فصار بوحُ الموتِ أَجْمَلْ . ! !

مَرْحَى بإشراقِ الصَّباحِ الحُرِّ –

إذ يطوى تواريخَ البُكَاءِ..

ويستقرُّ إلى نهارٍ

بالبشارات الرَّحيبةِ قَدْ تَهَلَّلْ .

نَمْ يا مُحِمَّدُ فى خلودِك هادئاً .

نَمْ هانئاً .

هوَ ذا أبوكَ-

الموتُ أَرْبَكَهُ فأَخْطَأَهُ

لِيُخْبِرَنَا جميعاً كيفَ أحببتَ الحياةَ..

وكيفَ صار الموتُ أَجْمَلْ .!!

كيفَ صار الموتُ أَجْمَلْ .!!

آية الصحو

(إلى ولدي ياسين)

صباحُ البَسْمةِ الخضراء يا باهى..

تزفُّ زهورَ حِنَّائى

إلى نجوى أحِبَّائى –

تعالى اللَّهُ –

إذْ أوحى ملائكةً إلى شفتيك ترْسُمها

لتمطرَنى بتَكْوِيْنى وإحيائى .

°°°°°

صباحُ البَسْمةِ الخضراء يا باهى..

تضيءُ بشارةَ الأحلامِ للحَيْرَى

وتطوى كلَّ تاريخٍ بلا عَدْلِ

يعادِلُنِى

صباحُ النُّورِ إذ يصحو كما تصحو ..

يبَدِدُ غيمةَ الأحزانِ
يمحو ظُلْمَةَ الدُّنيا بإطرائى
فتغدو سِرَّ آلائى .

.....

صباحُ النظرة الفردوسِ تحملُنِى تسابيحاً
إلى أقصى تراتيلى على سجَّادةِ الفَجْرِ
ويأتى صوتُكَ المسحورُ مبروراً .
يُناغينى ويُنْسِينِى ..
فَتُقْضَى سَجْدَتا السَّهْوِ

لماذا الآن يَصْدحُ فى دمى المَعْنَى
أناشيداً أناشيداً .؟!!

لماذا الآن تُشْرِق دورةُ التَّاريخ

فى تَرنيمتى الكُبْرَى .؟!!

أنا المسجونُ – طولَ العُمْرِ –

فى صمتى

وفى لغتى وفى أرَقِى ..

وها أنتَ على مهلٍ تُحرِّرُنِى

وتُطْلِقُنِى

إلى بوحٍ ربيعىٍّ وأسفارٍ بها أحيا ..

أغيبُ أغيبُ مبتهلاً

مع وهجٍ سماوىٍّ

فيأتينى هديرُ بُكَائِكَ القُدْسىِّ قرآناً

وشطآناً لأنَّاتِى ..

كأنَّ اللّٰهَ -

يدعونى إلى أذكارهِ الأسمى بلا وَحْىٍ ..

فأجعل مِنْ ذراعىَّ سريرَ

سَرِيْرَةِ الرُّؤيا .

فمِنْ أزلى إلى أبدى توَسَّدْ صدرى البادى -

.....

توَسَّدْ كى تُطَهِّرَنى بماءِ براءةِ الميلادِ ،

بالأنفاس دافِقَة وحانية -

فأنت خلاصى الغادى .

على شَفتيكَ طعمُ الفجر

يُسْكرُنِى بنشوَتهِ

فأبلغ أوَّل الدُّنيا بآخرها

وأَخْلُدُ فى حكاياتى ..

تبَسَّمْ كى أرى روحى

شموساً رغم ليلِ الزَّيْفِ ساطعةً

تُبَدِّدُ حَيْرَتى بىَّ ..

تُبَدِّدُ غُرْبَةَ الإنسانِ

والأشياءِ

والأعرافِ

فى أُكْذوبةِ الدُّنيا .

تبَسَّمْ كى أرى روحى

بلاداً – مثل وعد اللَّهِ – مُقْبِلَةً

لِمَنْ أضحى بلا وطنٍ

بلا أهلٍ

بلا ثمنٍ ..

بسيف حضارةِ التَّشريدِ والموتِ .

تبسَّمْ كي أرى روحي

تُمدُّ الظِّلَّ فوق سواعدِ الشُّرفاءِ

تقديساً وإجلالاً ..

أرى روحي

سيوفاً تعتلي ريحاً ..

لِتَبْتُرَ كلَّ مبتورٍ بغايتهِ ..

لماذا الآن يَصْدَحُ في دمي المعنى

أناشيداً أناشيداً .؟!!

وتبدو غُرْبَتِى عشقاً يرومُ العُمْرَ

بعد العُمْرِ

للعُمْرِ-

لكى أبقى جوار بهائك الباهى .؟!!

صباحُ الخير يا باهى .

لَكَمْ ضلَّتْ بداياتى

لَكَمْ ولَّتْ رجاءاتى

لَكَمْ ضاقَتْ بعُرْى الوقتِ

أوقاتى .!!

وكَمْ أُرْغِمتُ أنْ أحيا وحيداً

فى نِداءاتى ..

غريباً أبتغى أهلاً ..

بعيداً أرتجى قُرْباً

بكَ المرحى.

لك المحيا.

فحين أتيتَ

حينَ أتيتَ

حينَ أتيتَ ..

جاءَ اليومُ ميلاداً لميلادى.

آية المجد

(إلى ولدى أحمد)

بروحى أغنِّى حناياك يا مَهْدَ أحمَدْ .

بروحى أُرفرِفُ بين ملائكةِ الصَّمتِ

حول بهائِكَ –

حتَّى يفيضَ عليك السُّكونُ الرَّحِيمُ

وخِدْنك يَرْقُدْ .

بروحى أقرُّ جـــوار البهاءِ

طويلاً طويلاً ..

لِتَبْرَأ كلُّ الشَّقاءاتِ فِىَّ

وأرقبَ سِحْرَ البراءةِ

-خَلْفَ المواقيتِ خلف الفضاءاتِ –

يَنْدَاحُ بىَّ ..

فأفتح أبوابَ جنَّات خُلْدِى

وأدخلُ يا ــ أحمدُ ــ الآنَ عِبْرَ

ابتسامات وجهك

دون القيامةِ

دون حسابٍ

وبالوعدِ أَشْهَدْ .

°°°°°°

بروحي أرى رحمة اللَّهَ فيكَ..

تجَدَّدُ بالحُبِّ بَعْثِي

فأبدأُ بعدأُفول الصَّبَاحاتِ فِيَّ ..

أرى ما تأخَّر من مهلِ عُمْرِي ،

ولا أرْجُم الغيبَ - حين أطالِعُ مرآك تحبو

ويَرْسُمُ حَبْوُكَ فوق السَّجاجيد

دِلْتَاً ونيلاً

وشطآنَ بحرٍ ..

ويُهْدِيني مصرَ التي أرتجيها .

أتدرى بنجواىَ .؟!! ..

كَمْ تُهْتُ فيها .!!

أفَسِّرُ أحزانها بالحُضورِ

فأزدادُ تِيْهَا .

لَكَمْ أحرقتني بعشقٍ يَتوقُ

إلى العدلِ فيها .!!

وكَمْ فارقتني بأجيالِ حُلْمٍ

تبعثرَ بعد التَّوَحُّدْ .!!

°°°°°°

بروحى أغنّى حناياك يا مَهْدَ أحمَدْ .

بروحى أهَدْهدُ شجوَ البكاءِ البرىءِ ..

وأرنو إلى آيةِ المَهْدِ وَحْدِى –

فأدركُ كيف انْتَشى البوحُ

فى مَهْدِ عيسى .

بكاؤك – يا أحمد – الآنَ

تأويل غابات صَمْتِى .

بكاؤك فَجْرُ المعانِى

و جُرْحُ اللَّواتِس

نجوى ثكالى البلادِ –

فزِدْنِى بكاءً ..

لِأنسى غوايات ليلٍ تمادى

وأنسى تقاويم حزنٍ توعَّدْ .

بكاؤك يقرِأنى كلَّ حينٍ

ويجترُّ أسماء حُزْنِى ..

يعانِقُ أنَّاتِ أطفالِ " يافا"

وأوجاع " قانا"..

ويلْعَنُ صَمْتَ البلادةِ فينا –

فزِدْنِى بُكاءً

وزِدْنِى وغَرِّدْ .

° ° ° ° °

بروحى أغنِّى حناياك يا مهدَ أحمَدْ .

وترعى الدُّعاءاتُ مرآك

حين أُبَارِحُ فى كلِّ نأى .

وحين أعودُ وأسعى إليكَ –

يَضمُّ البراءةَ صدرى

وألثمُ وجهَ النبىِّ الصَّغيرِ

فيَنْشَقُّ بالنُّور صدرُ الرِّهان

وقلبَ الهوانِ ..

ويذهبُ وطءُ الغمامات عنهُ

وفيهِ –

مروجُ البراحات

بالصحو تَخْلُدْ .

٥٥٥٥٥٥

بروحى أراك تشبُّ على قدميكَ

ولا أرجمُ الغيبَ ـ

حين أطالعُ فوقَ أديْمِ الشَّوارعِ

نبضَ الخُطَى وائتلاق التَّمَرُّدْ .

بروحى أراكَ ..

وحتَّى أعانِقُ حُرِّيتى فى صِبَاكَ ..

فلن أَرجُمَ الغيبَ ـ

بَلْ يسبق العُمْرُ أيَّامَه

حتَى ينْشُدْ .

دمى أنتَ يا باهى والقلبُ أحمَدْ .

دمى أنتَ يا باهى والقلبُ أحمَدْ .

أمنية السجين

(إلى فرسان العصر أطفال الحجارة)

" مَطرٌ مطَرْ "

مطرٌ من السِّجِّيلِ جاءَ مُشَرَّداً ..

حمَلَتْ بهِ الأنواءُ قبل مخاضها -

خمسين عاماً من نزيف الأُضْحِيَةْ .

مطرٌ من السِّجِّيلِ جاءَ

فزغردى أمَّاهُ فوق الرَّابيةْ .

قال ابْتَدِىءْ.

فالأرض تُقْرِئُكَ السَّلامَ

ومِنْ رحيق دمائنا

سيرتوى ألق الأبدْ .

" مطرٌ مطَرْ "..

مطرٌ وُلِدْ .

وَلَدٌ من الأحزانِ كان فُطَامهُ ..

وتناثرَتْ أعضاؤهُ فوق الرِّمالِ ..

بدا جيوشاً يحتمى فى ظِلِّهَا

وجعُ الجبالِ العاتيةْ .

أخذتْهُ قارعةُ الصَّباحِ

فرَاحَ يُبْسِطُ راحتيهِ قطِيْفَةً

ليمامة الأرض –

التى تشتاقُ دفءَ الأوديةْ .

وَلَدٌ تبايعهُ الحقولُ ..

وتصطفيهِ سنابلاً من ريْقها .

متدَفِّقاً يطوى المدى

وتجَمْهَرَتْ أحلامُنَا فى راحتيهِ

فَقَدَّ بالآياتِ نومَ السَّاقيةْ .

وَلَدٌ من القرآن جاءَ مُلَثِّماً بسُكوتنا

أوْ عجزنا ..

وَحْيٌ يعيدُ حياتَنا لِحياتِنا .

لاذتْ بهِ لغةُ العصافير التى

يَنْتابُها أرقُ الدَماءْ .

تقاسَمَتْهُ الأرضُ والأعراسُ

فابتهج الفضاءْ .

وأبهجَتْ قسماتهُ وهجَ السِّنين الآتيةْ .

لاذتْ بهِ قِطَطُ المُخيَّمِ

والأياما

والشيوخُ الواهيةْ .

قالَتْ لهُ أنسابهُ :-

هَيَّا انْتَفِضْ .. هَيَّا انْتَفِضْ .

فغداً يُشَكِّلُ بالحجارةِ عنفوان الأُمْسِيةْ .

أبجدية الحضور والغياب

(إلى روح الشهيدة وفاء إدريس)

الآنْ يا "نِزارُ" أعلنَتْ وفاءُ عنْ

وفائِها .

الآن قد تلاشتْ الرِّمالُ-

بين دَهْشَةِ المُحيطِ واستباحة الخَليجِ

فى عُيونِها .

تراشقَتْ غزالةُ النَّهار

كىْ تفِرَّ مِنْ بلاغةِ الجحِيْمِ ..

كىْ تُعَلِّمَ الطُّغَاةَ أبجدِيَّةَ الحضورِ

والغيابِ ..

كَىْ تقولَ : -

ليس العارُ للرِّجال ، إنَّ العارَ كالرِّجالِ

ليس الموتُ للرِّجال ، إنَّ الموتَ بالرِّجالِ

مِثل الموتِ بالسَّلامْ .

الآنَ يا "نِزَارُ"

أُعْلِنَ العزاءُ فى مَراسمِ الخِتامْ .

وغرَّدَ الفناءُ فى توَسُّلِ الرِّجالِ للبقاءِ ..

فاستراحَتْ العُروشُ بالدُّمَى .

الآنَ قد تراجع الصَّهيلُ فى توَحُّشِ الدُّروبِ

بالخُطَى.

وفى توجُّعِ اليقينِ بالكلامْ .

فأعلنَتْ وفاءُ عن وفائِها..

وفجَّرَتْ نهارَ عُرْسِها البهيجِ

– دون مهلٍ –

لَمْ تؤجِّل الدَّوىَّ كىْ تُطَالِعَ الأزياءَ

مثل سائر النِّعاج فى صحافةِ النِّساءِ ..

لَمْ تحِن للعويلِ

مثل سائر البغالِ فى برامج العماءِ ..

دون مهلٍ —

لَمْ تُحَاول البقاءَ كالعبيدِ

مثل سائر الحُوَاةِ فى توَجُّس الشفاهِ

بالرَّجاءِ ..

وارتَدَتْ يقينها الجميلَ

مثل دفقة الضِّياءِ فى حدائق الظلامْ .

°°°°°°

الآنَ قد تبعثر الجمالُ

فى المخَيَّمِ القريبِ والمُخَيَّمِ البعيدِ

فى جنين والخليل

قُمْ ولَمْلِم الجَمال

قُمْ وضفِّر الخيالَ . .

فى قصيدةِ الخُلودِ يا " نزارْ ".

فالآن قد تأنَّث التُّرَابُ والهواءُ ..

قد تأنَّث الزَّمانُ والمكانُ ..

بَلْ تأنَّث التَّاريخُ فى توَحُّدِ الفتاةِ

بالقرارْ .

الآنَ يُطْوَى فى انحناء الواوِ

قاموسُ الوجودِ –

فليس بعد الأرض أرضٌ

ليس بعد الوقتِ وقتُ

ليس بعدَ القُدْسِ خَلْفٌ أو أمامْ .

والفاءُ فتنتُنَا الأخيرةُ –

أَنْ نجيءَ وأَنْ نُعَرِّجَ تحت

هَمْزتِها العريقةِ فى الغرامْ .

الآنَ تفرِدُ أبجَدِيَّتَها الغزالةُ

فى برارى الصَّيدِ فى مواكب والرُّؤيا

وأحلام النِّيامْ .

الآنَ يا "نِزارُ" أُعْلِنَ الختامْ .

فأعلنَتْ وفاءُ عَنْ قيامة الوعيدِ

والظَّلامْ .

حارس المستحيل

(إلى روح الشيخ أحمد يس)

براحُ أخيرُ ..

وهذا دويُّكَ يثقبُ غيمَ المراثى

ودُوْنَكَ شمسٌ تؤاخِى

سراب البعيدينَ ..

تَلْعَقُ لغو المرابينَ ..

.....

دُوْنَكَ يفتربُ الضَوءُ

فى لفتاتِ المرايا .

براحُ أخيرُ-

أم العشقُ يذروك فى عتمة الصَّحوِ

قبل انطفاء الحكايا .

٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

هو العُمْرُ يا حارسَ المستحيلِ ـ

ألاَ تَسْأل العُمْرَ مَهْلاً

لِتَزْرَعَ فى كلِّ أرضٍ بريقَ جلالكَ

أو تمنح الوقتَ سِرَّ هواكَ ..

فَنَبْرَأ من كلِّ وَهْمٍ

ونُشْعِل صمتَ المواجع

بالغبطةِ الشَّاردةْ .

لكَ الآنَ أنْ تقهر الوقتَ

أن تقهر القهرَ

أن تقهر الموتَ

بالرَّعدةِ الواعِدَةْ .

لكَ الآنَ تأويل كلِّ الحروبِ

التى أفلتّتْ من ضهيل القُلوبِ ..

.. ..

رِهَانُكَ/ أنتَ

وأنتَ / رِهَانُ الأساطير

تمضى وحيداً ..

على صهوةِ الحلمِ

ترشقُ فى رعشةِ الرِّيحِ

قنديلَ روحكَ ..

حتَّى تُضِىء لنَا سُنْدُسات المعانى .

تفتّش فينا عن الصَّحوِ

عَنْ أبديَّةِ ضوئِكَ..

يا خالد الضَّوءِ

تحت سماء الأغانى .

جليلاً – كما كُنْتَ – دوماً ..

تُطالِعُ ما يكتبُ الغيبُ

خلف جِدار التَنائى ..

.....

.....

تباعَدْتَ حين اقتربنا –

إلى أين تَمْضِىْ .؟!

إلى أينَ نَمْضِى .؟! ..

أتيناك صَرْعى كأسئلةِ اللَّيلِ

نحصدُ ظِلَّ الخُطى

من دُروب التَّدَاعى ..

.....

.....

تُرَاكَ ستحتمل الآنَ يا سيِّدى

أنْ ترانا .؟!

نداء

(إلى والدي في بلاد الغربة)

كان الصَّباحُ حديقةً

والشَّمسُ فوق الرَّملِ سُنْبُلَةٌ

يُجالِسها أبى .

ناديتهُ ..

وهو المسافر فى ضمير الوقتِ

ترتشفُ المدائنُ وَجْهَهُ ..

فتدفَّقتْ بينى وبين رضائهِ عصفورةٌ ..

تحنو علَىَّ

وتَرْشُقُ الدِّفءَ الرَّحيمَ

على دَمِى ..

وتغيبُ فى الملكوتِ

تغزلُ من نِدائى عُشَّها .

فوق السَّماءِ أتَتْ نخِيلُ الدَّوحِ -

يَمْلَؤها التَّبَتُّلُ والخشوعُ

لكى تصلِّىَ خَلْفَهُ ..

ناديتهْ ..

لَمْ ينتَبِهْ وانساب فى صلواتهِ ..

فتدفَّقَتْ من كُمِّهِ أزمانُ خُلْدٍ

وانتشاءُ قصيدةٍ ..

.....

.....

مازال خدُّ النَّهْرِ والرِّيحُ الكسولةُ

يرقدان على المسيرةِ بيننا .

هو فى ضميرِ الحقلِ

سُنْبلةُ الرُّؤى ..

وأنا هُنَا.

هو فى فِجاج الرُّوحِ

قافلةُ المدى ..

وأنا هُنَا .

مازِلْتُ أمنحهُ النِّداءَ

وأنتظِرْ .

هَلْ ـ

يحملُ النَّهْرُ النداءَ

إلى أبى .؟

بريق الأصيل

(إلى أمي في أرجاء خطاي)

أُمَّى ..

تُجَادِلُنِى بأسماءِ البلادِ

وبالطُّفولةْ .

تروى على ترياق جُرْحِى

دائماً –

أُسطورةَ الغرباءِ فى ظِلِّ الحكايات الطَّريدَةْ .

وحين أوقفُها لأسألَ ..

كيف بدَلت المواسمُ مِنْ بكاءٍ طازجٍ

حتَّى استحال الصَّمتُ آفاقاً

لقافلةِ الرَّجَاءِ –

تراوغُ الأرواح فى جسدى ..

وتحتضن اغترابى واقترافات النهارِ ..

تقولُ :-

أنتَ القادِمُ الوردىُّ ..

أنتَ مواكبُ الفوضى وآخرتى

إلى نهرِ العناقِ المستحيلِ ..

تُسَافِرُ الطرقُ البعيدةُ فى خُطَاكَ

فَبَاعِد الأيَّامَ عن أشيائك الأُوَلَى

وعانِقْ فى غصون اللَّيلِ

ما تركَتْ نهاراتُ الرَّحيلِ .

... .

....

هُنَا ستهبط من أغانيك الهِدَايةُ ـ

سُنْبُلاتٍ باسقاتٍ مِنْ حَنِينى

سوف ترقبها ،

ستَطْلعُ فى هدوءٍ بين

عُشْبِ الرَّبَّ ..

تَقْطفها وتخرجُ فى سِباقات الصَّهيلِ

أردُّ عَنْكَ الغيْمَ فى شَجر الصَّباحِ

وعندما تدنو من الزَّمنِ المُحَنَّطِ

فى البيوتِ -

أهُزُّ أُحْجِيَتى التى عَلَّقْتُهَا

شُهُبَاً وياقُوْتَاً

على أغصانِ حيرتك الظَّليلَةْ .

°°°°°°°°°°

أُمّى ..

تُجَادِلُنِى بأسماءِ البلادِ

وبالطُّفُولةْ .

وليس لى لغةٌ –

فأُنْبِئُهَا بأعراسِ المواقيتِ القتيلَةْ .

أُصْغِى لآهَتِها ..

وأحصُدُ مِنْ هتافاتِ الهباءِ

شَوارعاً

وأَتِيْهُ فى وطنٍ

– بلا زمنٍ –

يبادِلُهَا الصَّهيلا .

صَمْتِى تواريخٌ تواريها القبائلُ

فى نهارٍ خافقٍ ..

والصَّمتُ أدنى راحتين

تُشَكِّلانِ الموتَ من طين الحقيقةْ .

تستقبلان الشَّمسَ من أفقٍ أخيرٍ ..

تَضْفرَانِ الجُرْحَ بالأسماءِ

فى عُنقِ الرِّياحِ ..

.. ..

هُنَا لنا يا – أمُّ –

كُلُّ موائد الصَّيدِ المُهَذَّبِ ..

والرِّفاقُ إلى جوار الوهمِ

واللُّغةِ السَّحيقةْ .

يتبادلون الصَّمتَ فى صُحُفِ الوجوهِ
يناوئونَ ويحتفونَ مع الهباءِ
فأحتفى بالوَطْءِ فى مُدُنِ الكلامِ ..
وحين يغمرنا رهانُ الصَّحو –
نسقطُ فى هجاءات الحقولِ ..
وهكذا..
يَنْدَاحُ فِينا دائماً أرق الحروفِ ..
.....
.....
وهكذا..
نرى براحاتُ الجراحِ
نرى قصائدنا كآخرةٍ
وزلزلةٍ –
تفضُّ الانتظارْ

نرى الصَّبَاحَ

تمِيْمَةَ المقهى ..

وهُمْ يستأجرون الوقت

من أفقٍ إلى أفقِ

على شرفات بابلَ يعقدون

يدَ الصَّبَاحِ ..

.. ..

هُنَا تدورُ مواسمُ الموتِ المُبَاحِ

فكيف يا أمُّ يجيء الموتُ

من سبإٍ

ويَسرِقُ من يديك الانتظارَ .؟! ..

هُنَا نداؤكِ يسأل الأرجاءَ عَنْ دمِنَا

وعن مقهى جُنونى وانطفاءات الرِّفَاقِ ..

هنا نداؤكِ

ـ فى حنينٍ يسبقُ الرُّؤيَا ـ

يعاودُهُ السُّؤالُ ..

فَهَلْ أتيْهُ على مَمالِكِ خُطْوَتى .؟!!

هل أستوى للوقتِ أم

أبقى على أحضانهِ طفلاً

يُدَاعِبنى الرَّجاءُ .؟!!

تمر الأثرل

(إلى حالك ليلنا العربى الطويل)

رأيتُك سَاطعاً

فى صفحةِ التِّيْهِ المُخصَّبِ

بالذى أغوى .

رمادُكَ يشتهى آياتهِ الكُبْرَى .

وغيبُكَ يَخْتلى بالجوعِ مُخْتَبئاً

فتختبئُ المواسمُ عن موائد

موتِك الصَّدَفىِّ ..

ترجِعُ من هزيع اللَّيلِ غانيةُ المواجعِ

فى يَديها وهمُكَ القزحىِّ ..

تَهْدِى الوقتَ قنديلاً بلا زيتٍ

فينأى الضَّوْءُ فى أرجاءِ

غفْوتِكَ بغَفْوتِنا.

فهل ترعى أنَامِلُ صمتِكَ المرهون

وحْدَتَنا .؟!!

°°°°°°°°°°°

رأيتُكَ -

والمدى جُزرٌ تروم المَرْفأ اللَّيليّ ..

فى كفَّيكِ طمىُ الصَّرْخةِ الأُولى .

تُسافِرُ فى مساءاتٍ من الأشلاءِ ..

يخلدُ فيك طِفلُ الحزنِ أطفالاً ..

فتنسانا وتخطرُ فى شوارعنا الظِّلاليَّةْ .

على شُطْآنك انقسَمتْ بنا النَّجْوَى

كأحلامٍ-

تُطَالعُ عِشقَها البَدَوىَّ

فى الحاسوبِ ..

هل ضلَّتْ دُمُوْعُ الرَّملِ والزَّيتونِ

رحْلتَنا .؟!

أم انْفجرَتْ مداراتُ الصَّواعقِ

فوقَ سطح البيتِ

فاسْتَلقى على أعراشهِ تعِبَاً .؟!!

.....

رأيتُكَ -

غارقاً فى هدأةِ استنكارك المشجوبِ

بالشَّجبِ -

أيَا مَنْ ..

لاحَ فى نظراتِنا الأُولى

صُروحاً مِنْ ضمائرنا ..

رأيتُكَ -

والرَّدَى عينانِ تقسمانِ

وعدَ السَّعىً ..

ترشفُ وجهك الغفواتُ

فى أُنشودةِ المأوَى .

تُرَاك جهلْتَ رحلتَنا ..

أيَا تُرْيَاقنا الممتدَّ فى الوقت

بلا وقتٍ ..

تُرَاك غفوتُ حين انْشقَّتِ الذّكرى -

فقام الهاتفُ الأرقىٰ يُشْدِينا

ويَنْمِينا على مهلٍ ..

.....

تلاشينا وأنت على سرير الصَّمتِ لا تَقْوى

تلاشينا .. وما زلنا

وما زالت

عيونُ الرُّعبِ تَرْقُبُنَا .

وما زال انتصافُ الحزنِ يحملنا

إلى الغيبِ .

البرج في الأرض الحرام

(إلى إخوتي في العراق)

هَلْ فرَّ مِنْ دمِكُمْ دَمِى

مُتدفِّقاً فى ليلِ أوردةِ الخديعةِ

واهماً بنجاتِهِ .؟!

أَمْ أنَّنى

- يا إخوتى فى الموتِ -

قد أُدْخِلْتُ قهراً فى

عراءِ عُروبَتى ..

وصرختُ مؤتنساً بكُمْ ..

أهذى كزرقاءِ اليمامةِ

بابتساماتِ الأفاعى

وافتراءاتٍ تُخَبِّىءَ خلفها غاياتِها -

فغدوتُ فى الهذيانِ تأويلاً

لأزمنةِ العَمَىْ .!!

يتغَمَّدُ " السَّيَّابُ " أغنيتى بدمعتهِ ..

ويمْهِرُنِى مفاتيحَ البلادِ لكى أسافر

فى حرائقها ..

وأبحثُ عن مواثيقٍ تؤرِّخُ صَرْخَتى

فأعودُ مُغترباً بِلَوْعةِ جَدْبِكُمْ –

كخيالِ غيثٍ بالفجيعةِ قَدْ هَمَىْ .!!

°°°°°°

هَلْ فرَّ مِنْ دمِكُمْ دَمِى

– يا إخوتى –

أَمْ أنَّمَا .؟!!

أُدْخِلْتُ ديوانَ الرَّشيدِ

مع الرَّعيَّةِ والموالى والعبيدِ

مُقَيَّداً بِهُدَايتى ..

ونظرتُ لِلعَرْش المُقَدَّسِ

ما وجَدْتُ رشيدَهُ ..

وأشلَّنى "مسرورُ" بالوجهِ المُكَهربِ

قائلاً :- عُدْ حيثُ كنتَ مغنِّياً

ودع الهتافَ مع الهذاءِ

لأهلهِ ..

فخرجتُ مفزوعاً بهِ ..

أهذى وأَمْتَبِحُ الخيانةَ

والعُرُوشَ المستريحَةَ

بالدُّمَىْ .!!

°°°°°°

هَلْ فرَّ مِنْ دمكم دَمِى

– يا أخوتى –

أَمْ أنَّمَا .؟!!

حين اصطلى الطوفانُ فرَّقنا

لِنَخْلُدَ فى المراثى تائهين وحائرين

بما يكون وما جرى .!!

ونظلَّ نسألُ هل تُرَى –

– بغدادُ أختُ الموتِ

أَمْ بغدادُ أختُ القاهرةْ .؟!!

– بغدادُ أختُ الموتِ أَمْ

أُسطورةُ الزَّمَنِ المضىءِ بأهْلِهِ ..

وحفيدةُ الوهجِ المُبَتَّلِ بالرِّسَالاتِ التليدةِ

والنُّجومِ السَّاهرةْ .

جاءَتْ تُحاكِمنا بأشلاءِ الطُّفولةِ

والهياكلْ

والحرائقْ ..

رَدَّها "مسرورُ" بالوجهِ المُكَهْرِبَ

آمراً بدخولها ودخولِنَا

فى اللَّيلِ ..

مؤتمرين بالنَّجْوَى-

كمن يجلو السَّهامَ مع السَّيوفِ لكى ينامَ ..

وما رَمَىْ .!!

°°°°°°

هَلْ فرَّ مِنْ دمِكُمْ دَمِى

- يا إخوتى -

أَمْ أنَّمَا .

أُجْلِسْتُ للشَّاشاتِ

مُبْتسِماً لموتِى ..

عندما خدعَ الصَّبَاحْ شُمُوْسَهُ

ومضَى سريعاً بالجيوش المستبدَّةِ

والجيوشِ المستعِدَّةِ

والجيوش النَّائمةْ .

°°°°°°

هل فرَّ مِنْ دمِكُمْ دَمِى

- يا إخوتى -

أَمْ أنَّهُ آوى إلى وهمٍ لِيَعْصِمَهُ

وينعمَ باللَّيالى بارداً ..

ويذوقَ فى أوطانُهُ تغريبةِ السّجن الكبيرِ ..

فيهتدى شغِفاً بضوءٍ ماكرٍ

فى شمسهِ ..

وينجلى فرحاً بغيمٍ سادرٍ

فى غيِّهِ ..

ويَجِفُّ مأخوذاً بنَزْفى

لِلصَّباحاتِ القَتيلةِ والجِراح القادمةْ .

ويقولُ دوماً :-

لَمْ تَعُدْ لِلصَّوت آفاقٌ تُصادقهُ ..

ولَمْ يَعُدِ البراحُ سوى خيالاتٍ

تُبرِّرُ للخيانةِ سَعْيَها ..

فنعودُ من قهرٍ

إلى قهرٍ

يُحَرِّرُ قهرَنا ..

وتسافِرُ النَّجوى بِنا ..

فنرى الجميع " مُسَيْلمة "

°°°°°°

هل فرَّ مِنْ دمِكُمْ دَمِى

- يا إخوتى -

أَمْ أنَّهُ النَّفْـطُ الـذى

قَدْ ذابَ فيهِ ..

فأوْقفَ الأحلامَ فى دَفقاتهِ ..

وانداحَ ماءً آسناً متبخّراً فى صَمْتهِ

متخثّراً بنجاتِهِ ..

متجرِّداً من كلِّ أسماءِ الشموسِ المُسْلِمَةْ .

ودعا الفزاةَ الطيبينَ لِرَشْفَهِ الفرحُ الحزينُ

فأنْضَجتْ لُغَتِى مرارَتَها ..

وجاء الموتُ من سبأٍ يكفِّنُنِى

بأعلامِ الهزيمةِ —

من عُمَان إلى الرَّباطِ

إلى الرِّياض المُظْلِمَةْ .

ويقول موتى — ناصحاً أحياءَهُ :—

(مَنْ لَمْ يمُتْ بالسَّيفِ)

مات بِصَمْتِهِ

أو حُزْنِهِ ..

فَارْعَى صُرَاخَكَ فى البراحِ ..

– من المساءِ إلى الصَّباحِ –

بِثارةً ومُقاومةْ .

°°°°°°

هل فَرَّ مِنْ دمكم دمِى

– يا إخوتى –

أَمْ أنَّهُ فى قد غابَ فى سكراتهِ .؟!

أَمْ أنَّهُ سيفيقُ من سكراتهِ .؟!

وتُغَرِّدُ الجمراتُ فى حَسَراتهِ

ويفيضُ مؤتلقاً بكُمْ

يطوى الغُيوم السَّادراتِ

ويهجرُ الشَّجب الظَّلامْ .

يَهبُ الخُطى أقدامَها ..

فيُمانقُ النِّيلُ الفراتَ ..

وينبشُ الغضبُ الحرونُ

جراحَ أسئلتى ..

فتبتسمُ الطُّفولةُ فى حزامٍ ناسفٍ ..

وتطيرُ أشلاءُ الحقيقةِ

باليقينِ المُرِّ ..

تَنْثرُنى على شُرفاتِ بابل

دونما ألمٍ ..

فتُخْرَسُ فى المحافل كلُّ أَلْسِنَةِ الكلامْ .

°°°°°°

هل فرَّ من دَمِكُمْ دَمِى

– يا إخوتى –

أَمْ أنَّهُ حُضورنا –

أُفولُنا ..

أَمْ أنَّهَا بلادُنا –

سُجونُنا ..

أَمْ أنَّهُ بريقُنا –

خُفوتُنَا ..

أَمْ أنَّهَا خُطواتَنا –

سُكُونُنَا ..

أَمْ أنَّهُ غناؤنا —

نواحُنَا ..

أَمْ أنَّها عيونُنَا —

عَماؤنا ..

أَمْ أنَّها أجْسادُنا —

ظِلالُنا ..

أَمْ أنَّهُ فى عَدْلِنَا —

ضَلالنا ..

أَمْ أنَّهُ .. أَمْ أنَّها .. أم أنَّنِى ..

ما عُدْتُ أدرى

مَنْ يَموتُ الآن

أو مَنْ سيقتلنى غداً ..

أو مَنْ سيقتلُ قاتلى

عند ائتلاق البوحِ

فى الأرض الحرامْ .؟!!

°°°°°°

هل فرَّ مِنْ دمكم دمى

متدَفِّقاً فى ليلِ أوردةِ الخديعةِ

واهماً بنجاتهِ .؟!

أم أنَّنِى

- يا إخوتى فى الموتِ -

قد أُدْخِلْتُ قهراً فى

عراءِ عروبتى ..

لِأظَلَّ أسأل مَنْ أكونُ

ومَنْ أنَا .؟!!

طُوبى لَكُمْ يا إخوتى طُوبَى لكُمْ .

ما فرَّ مِنْ دمِكُمْ دمِى –

لَكِنَّهُ ..

نَـهَمُ العُروش المستبدَةِ لِلتَّصافحِ

بالرُّؤوسِ

وللتألُّقِ بالسُّكوتِ وللتَّصالحِ بالخِصامْ .!!

البوح فى الأرض الحرام

(الى السعيد حسن نصر الله ورحاله البواسل)

هكذا ..

– يا سيّد الوقتِ –

امتشقتَ الصّدق..

حتّى عادتِ الأرضُ من المعْنَى

رحِيقاً طيّبًا ..

يغْرِى شرايين الرّجال الطّيبينْ .

عادتِ الأقْدامُ

– مَرْأَى النّارِ –

زِلْزالاً ..

يهزُّ الكونَ فى التّأويلِ

والتّحليل –

فى الرّؤيا وفى عينِ اليَقينْ .

عادتِ الأيْدى

يمينَ اللهِ تَرْمى -

حين تَرْمى

ويلَ سِجِّيلٍ من القرآنِ..

يَحْدُونا إلى الأقصى

إلى بغدادَ

والجولان ..

و" التِّين و الزَّيتون والبلدِ الأمينْ ".

°°°°°°

هكذا..

- يا سيِّد الوقتِ -

امتشقت الصَدق ..

حتَّى عادتِ الأنفاسُ حَرَّى

كِبْرياءً –

بعد أزمان انقباض مُرْجِفٍ ..

أعمى سِنينَ العفو تَتْرَى

بالسِّنينْ .

عادتِ النَّجوَى

زئيرًا ..

عادتِ التَّقوى

نفيرًا ..

عاد فجُر المُرْتقى

أغصانَ وعدٍ ساطعٍ ..

يمحو غُيوم البوحِ ..

يطوى أىَّ رجعٍ

– فى سَمانا–

مِنْ أنينْ .

هكذا ..

واللَّيالى – رغم أهوال اللَّيالى ..

بين مَوْتَى الصَّمتِ

أو صَحْوَى المقالِ –

بدَّلتْ أشواقَها بالثَّأر

والإشراقِ –

لحن الصَّامدينْ .

سوف يبقى العزفُ

بالأرواحِ

أغلى مِن عُروش العارِ

أعلى مِن رؤوس الذُّلّ

أصفى من وعود الشَّمسِ

أدنى مِن نداءات الحنينْ .

.....

هكذا ..

سوف يبقى العزفُ بالأرواحِ..

مَسْعانا الذى يقوى

على الأقوى ..

ومَعْنانا الذى يَأْبى

ولا يَرْضى –

سلام الذُّلّ إذ يأتى

ولا يأتى ..

ويستجديهِ أوهانا

وأغبابا..

فما أبهى رجال اللهِ

فى لُبْنانَ ١١-

إذ أدموا قرود العصر بالإذلال

أشكالاً وألوانا ..

فصار الوهمُ " ميركافا "

فـ " ميركافا "..

وما عادت إلى المأوى –

ولا ماوى ..

سُوَى بالفَرَ بعد الخزى

والقهر الحزينْ .

°°°°°°

هكذا ..

– يا سيّد الوقتِ –

امتشقت الصِّدقَ فِينا .

فاستضاء الضَّوءُ بالهاماتِ

فى مَرْأَى أغانِينا .

وانْبَرى – يا سيِّدى –

يشدو بكُم

نبضُ القلوبِ الآملة .

ها هى الآن-

أناشِيدُ السَّنا

تَضْوى ..

وتخْتارُ مداها من بريقِ الزَّلْزَلةْ .

هكذا ..

بينما تهذى رؤوس العارِ

باللَّغو المُعَمَّى

والفَتاوَى الجاهِلةْ .

ها هى الآن -

دماءُ الطُّهر ..

تَروى سُنْبلاتِ النَّصر شهدَ الأُمْنِياتْ.

ها هو الآن -

مدى الأصداءِ

يرنو للمآذنْ .

هاتفاً آتٍ وآتٍ

ثم آتْ .

ها هو النِّيلُ

- إلى دجلةَ -

قد طار اشتياقاً ..

ثم أفْضَى مُسْتَريحاً يصطفى

حضْنَ الفُراتْ.

هكذا يا سيِّدى

– فى غدنا – آخَيْتَ

أشتات الشَّتاتْ .

هكذا أصدقتنا

– يا حارس البُشْرى–

ابتسامات احتفاءٍ ..

مستضىءٍ بالأياما والثكالى .

هكذا قد قُلتها آتٍ –

فقلنا

ثمَّ قُلنا :–

أنتَ فجرٌ قد تَبَدَّا..

أنتَ حلمٌ قد تجلَّى ..

أنتَ نجمٌ

– فى سمانا –

قد تدانى،

فتعالى

وتعالى

وتعالى .!!

الفهرس

القصيدة	الصفحة
١.أصارح أغنيتى.	٥
٢.تفاحة آدم.	٢٧
٣.عراء الـ" ماقبل".	٣٧
٤ .ويبقى حلمك ساطعاً.	٤٧
٥.آية الصحو	٦١
٦.آية المهد .	٧١
٧.أمسية السجيل	٨١
٨. أبجدية الحضور والغياب.	٨٧
٩.حارس المستحيل.	٩٥
١٠.نداء.	١٠٣
١١.بريق الصهيل	١٠٩
١٢.قمر الفلول	١١٩
١٣.البوح فى الأرض الحرام	١٢٧
١٤.عين اليقين	١٤٥

رقم الإيداع ٢٢٦٧٠ /٢٠٠٦

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-6143-37-7

الناشر دار شريف للطبع والنشر